﴿عبودية المحبة﴾

تفريغ الطالبات للمحاضرات الصوتية ل/

د.أم تميم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه ، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شَرِيكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه

أما بعد.....

نتحدث اليوم إن شاء الله عن ركن من أركان العبودية ألا وهو: المحبة.

﴿ عبودية المحبة ﴾

❁المحبة في اللغة:الاسم من الحب، وكلاهما مأخوذ من مادة حبب والتي تدل على اللزوم والثبات.

❁أما في الاصطلاح فهي كما :

📖 **قال الراغب**: "المحبة هي ميل النفس إلى ما تراه وتظنه خيرًا" .

فما من أحد يحب شيئًا إلا إذا كان يظن فيه الخير أو أن هذا الحب سيأتي من ورائه النفع ، سواء كان هذا الحب لشخص أو أي شيء(ابن، زوج، مال)، فلابد أن يملك الإنسان اعتقادا أو يقينا جازما أن هذا الشيء سيعود عليه بالنفع حتى لو كان هذا النفع معنوي، مثال: إنسان صفاته الظاهرة عادية جدا بل أقل من ذلك إلا أننا نجد امرأة تحبه حبًا شديدًا وإذا ما بحثنا عن السبب

الحقيقي و فتشنا في الأعماق سنجدها تعتقد أنها سيأتيها من هذا الحب نفع حتى ولو كان معنوي وسواء أكان هذا الاعتقاد صحيحا أو غير صحيح.

📖 **قال الكفوي:**"المحبة هي إفراط الرضا".

وهي قسمان:

- قسم يكون لكل مُكلف وهو ما لابد منه في الإيمان، وحقيقته هي قبول كل ما يرد من قِبل الله تعالى من غير اعتراض على حكمه وتقديره، وبدون هذا القسم من الحب فإن العبد يخرج من الإيمان، فكما قلنا أن العبادة قائمة على ركنين (كمال الحب، كمال الذل) فغن لم يتواجد الحب بالكلية فقد خرج العبد من العبودية بالكلية.

وهذا القسم هام جدًا؛ لأن العبد إذا لم يكن مُحققًا لهذا القسم في محبة الله فإنه لم يحقق الركن الأول من الإيمان وهو عدم الاعتراض على الحكم وهذا أقل تقدير في المحبة (قبول العبد لكل ما أوجبه الله عليه بغير اعتراض) فإذا ما وجد العبد في نفسه اعتراضا على الحكمة أو التقدير في أي أمر من أوامر الله فليعلم أن المحبة عنده يعتريها شيء أو أن بها مشكلة كبيرة،وهناك فرق بين الاعتراض وبين الإقرار بالأمر مع عدم القدرة على التنفيذ..

قسم لا يكون إلا لأرباب المقامات،وهؤلاء هم الذين ارتقوا في الإيمان، وحقيقته هي ابتهاج القلب وسروره للمقضي. والرضا فوق التوكل؛ لأنه يعني المحبة في الجملة ، وهذا هو النوع الأعلى.

إذًا هناك قسم لا يجب النزول عنه وهو قبول كل ما جاء من عند الله (قبِل العبد ويمكن ألا ينفذ الأمر لضعف أو لشهوة أو لاستيلاء نفس أو لمجتمع يؤثر عليه ولكنه قابِل لشرع الله لا يستطيع أن يرفضه لأن الذي يرفض شرع الله ويحاده يخرج من الدين)

والنوع الثاني هو الأعلى: والذي يعني كما سبق القول: سعادة العبد بما قضى الله سبحانه...

قضى بطاعة الوالدين فيبر العبد والديه وهو في منتهى السعادة...

قضى للمرأة أن ترتدي الحجاب بصورة معينة فترتديه وتشعر أنها في غاية الرضا عن مظهرها...

قضى بطاعة الزوج فيُطاع بكل حب لأن الله سبحانه هو الذي أمر بذلك، فيكون تلقي كل أمر من أوامر الله عزوجل بقبول وابتهاج ورضا وسرور وحب لأنه من عند الله والرضا فوق التوكل لأنه المحبة في الجملة

والتوكل هو: صدق اعتماد القلب على الله في تحقيق ما أمر الله به.

أما الرضا فيعني: رضا العبد بما قدر الله.

علامة رضا العبد بما قدر الله ...

عندما يأتي الأمر من الله يكون تنفيذه بحب وابتهاج وسعادة وسرور في القلب. فتسعد بامتثالك أوامر الله ، وتفخر بأنك مسلم ولو عُرض عليك شرع آخر ترفضه لأنك راضٍ عن ربك.

وقيل المحبة: الميل إلى ما يوافق المُحب، لو أحب العبد ربه فعلًا ولم يكن ما يقوله إدعاء فستميل نفسه دائما إلى امتثال أوامر الله،ويرضى بما قدر الله و قضى.

أنواع المحبة بحسب المحبوبين:

١ . محبة الله تعالى

وهذا النوع قال فيه العلماء:

" يهب الإنسان بسببه حياته لمن أحب فلا يبقى له منها شيئا"

والمراد: أن يهب إرادته وعزمه وأفعاله ونفسه ووقته وماله لمن يحب..

واليوم نحن هنا لنُفند الأدلة على إدعاء محبة الله وننظر سويا إلى النفس لنعرف، هل هي مُحِبة لله أم أنه مجرد إدعاء ؟؟

وحتى نصل إلى تلك الحقيقة وبالبحث فيها نجد أن حب الله ﷻ له (علامات ،وله أنواع،وله درجات) .

فأين العبد من تحقيق هذا الحب !!

قيل المحبة: هي معقد نسبة العبودية....

المعنى: المعقد هو مكان العقدة من الحبل،وكذلك قال العلماء:

"أن معقد نسبة العبودية لله هو المحبة، فالعبودية معقودة بها بحيث إن حُلت المحبة حُلت العبودية، ومتى انتفى الحب من قلب العبد انتفت العبودية فلا يأمنن على نفسه"

أعظم الأسباب وأقواها على الإطلاق إن لم يكن السبب الرئيس في رجوع أي عبد عن طريق الحق وانتكاسه عنه، هو عدم تحقيق الحب (الركن الأول في العبودية)، مستحيل أن يُحب العبد ربه بصدق ثم ينتكس ويعود ويرجع عن الطريق لابد أن هناك خلل وإشكال يعتري هذا الحب.

فهل نحن محبين لله أم أننا مُدعون؟

وحتى لو كنَّا مُدَّعين فلا أقل من أن نواجه أنفسنا بتلك الحقيقة ومن ثم نُحقق المحبة

وقيل أيضًا(المحبة): هي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال ومتى خلا منها القلب أصبح كأنه جسد لا روح فيه، فأي عمل بغير حب الله لا قيمة له، والإنسان الذي حقق الحب لله سبحانه وتعالى فاز بشرف الدنيا والآخرة والفوز العظيم ونال أعظم الأشياء التي يسعى العبد لنيلها ألا وهي حب الله له.

من ادَّعى المحبة فعليه البينة:

كثر المُدَّعون بحب الله فأمروا بإقامة البينة ... ومن كرم الله ﷻ وإحسانه ورأفته بالعباد أنه يكشف للعبد أحوال نفسه (أحيانًا يكون لدى الإنسان أمراض قلوب أو آفات لنفسه وهو لا يعلم) فيكشف الله سبحانه للعبد تلك الأحوال حتى تنجلي أمامه ويكون ما بين أمرين:

١. إما أن يكون العبد صادقا فيسعى في إصلاح حاله.

٢. وإما يكون كاذبا فلا يلومن إلا نفسه يوم القيامة .

وعندما ادَّعى البعض محبة الله ابتلاهم سبحانه بتلك الآية، قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٣١)﴾ [آل عمران]

علامات الحب:

أولها : اتباع الرسول ﷺ:

سبق أن تكلمنا عن حب الله ثم يتبع ذلك حب النبي ﷺ ، فمن يدعي حب الله أين اتباع نبيه!! (السنن ابتداءً بالرواتب التي تكون مع الأعمال ، سنة الصيام،سنة الصلاة، الصدقة بعد الزكاة)، ناهيك عن السنن الأُخرى، أحوال النبي ﷺفي قيامه، سجوده، ركوعه، جلساته، أفعاله، كلامه مع الناس، نُصحه ﷺ لأصحابه، كل حياته بمعنى أصح) أين نحن من حياة النبي ﷺ ؟

هل تتبعنا كل ما كان يفعله.. من وقت استيقاظه إلى أن ينام ؟

- يدعو حين يستيقظ، ماذا يقول؟هل نقول ما كان يقول؟
- يتوضأ،هل نتوضأ مثل وضوءه؟
- يُصلي،كيف كان يتكلم مع الصغار ، حاله مع نسائه ، مع جيرانه ، حاله مع المُخالف كيف كان يتعامل معه ؟ وكيف نتعامل نحن مع المخالف،هل نتعامل معه بطريقة النبي وهديه ﷺ؟
- حاله في الشدة....وغير ذلك، فأين نحن من أخلاق النبي ﷺ؟

قال تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)﴾[الأحزاب]

أين نحن من كل هذا؟

أين الاتباع ؟

ارتداء السواد وإطلاق اللحى أمر جميل،لكن عندما نبحث في حقيقة الأمرونظر إلى أحوالنا بشكل أعم لا نجد اتباعا ولا تسنن بسنته صلى الله عليه وسلم بشكل عام. فكل حياة العبد لابد أن تكون مرتبطة بالسنة،لم يكن المقصود بالاتباع هو.. (لعق الأصابع،والنوم على الجانب الأيمن بل المقصود به هو أن تكون حياة العبد كلها على السنة)، وعلى قدر الاتباع يكون الحب لله سبحانه لأن الآمر باتباع النبي ﷺ هو الله، وهو من اختبر حب العباد له بمدى اتباعهم للنبي ﷺ ، فإذا كنت أيها العبد تدعي محبة الله وبشدة،فما هو قدر اتباعك للنبي ﷺ ؟

إذا كنت غير مُتبع فأنت كاذب في إدعاء المحبة

العلامة الثانية:

عندما اتبع قوم النبي ﷺ في الظاهر لم يرض الحق تبارك وتعالى بالاتباع في الظاهر فحسب، بل طالبهم بإقامة البينة عن طريق تزكية أخرى قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة:٥٤] هذه علامة أُخرى.

وكثيرون يتأخرون عن هذه العلامة – وهي الجهاد – حتى لو كانوا من المتبعين ، فبذلك يكون الحب ناقصا. شخص يحب الله واتبع النبي ﷺ محبةً لله؛ فإذا ما طولب بعلامة أخرى، وهي الجهاد: ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ والجهاد للرجال فهم الذين يجاهدون في ساحة القتال ضد الكفار.

أما جهاد المرأة كما قال النبي ﷺ فيتمثل في(الحج والعمرة،وجهاد النفس، وجهاد الشيطان) فما هو قدر هذا الجهاد عند العبد؟

هو الذي يقاس ويُعلم به مقدار حبه لله

الثانية: ﴿ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾

المعنى: أن العبد عندما يكون على الحق ويحدث بينه وبين المخالف نقاش، فإنه لا يستحي ولا يتراجع ولا يمتنع عن النصيحة حتى لو كان هذا سيُغضب المخالف، ولو حدث منه خلاف ذلك لكان هذا دليلا وعلامة على نقص المحبة

مثال: لو جلس شخص مع بعض الناس ورأى أنهم مخطئين فليس له أن يهاجمهم بطريقة عنيفة كما أنه ليس له أيضًا أن يتركهم على ما هم عليه من

خطأ خوفا من أن يتهمونه بالتشدُد وينفرون منه خاصة إذا كان هؤلاء تربطهم به صلة كالقرابة وغيرها.

هنا نجد أنه خاف على نفسه فقدم حبها ومصلحتها على حب الله، فهذا ليس صادق المحبة، أما الصادق في حبه فإنه يقول الحق مهما كان لهذا القول من تبعات قد تضره ،كل ما يهمه هو قول الحق شريطة أن يكون بالهدي النبوي أي برحمة ورأفة تجعل من يوجه له هذا النصح يتقبله ولا يرده .

❁العلامة الثالثة:

قال تعالى:﴿ إِنَّ اللهَّ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهَّ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهَّ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)﴾ [التوبة]

قال بعض أهل العلم: عرفوا عظمة المُشتري وفضل الثمن وجلالة من جرى على يديه عقد التبايُع.

عرفوا قدر السلعة وأن لها شأن فرأوا من أعظم الغُبن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس فعقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي..

وهل النفس والمال تساوي الجنة ؟

بالتأكيد لا...

ما هي مدة حياة الإنسان! وكم ستدوم؟

ومهما أُوتي من مال فكم سيجمع ؟

من الذي أعطاه المال ؟

ومن الذي منحه الحياة ؟

ثم في أخر الأمر يترك الإنسان كل هذا، فإذا تركهم الإنسان قبل أن يتركوه وباع نفسه وماله لله سبحانه فذلك الفوز العظيم ... ولكن هذا لمن يفقه من أصحاب العقول النيِّرة والبصيرة الصحيحة التي علمت أنه عقد يبيع فيه العبد نفسه وماله في مُقابل الجنة،أليس من الغبن والخسارة والخذلان أن يبيع العبد الجنة حتى يُوفر ماله ونفسه وصحته!! والله تلك هي الخسارة بعينها؛ لأن العبد في الدنيا لو أعجبته سلعة ما فإنه لا يحب أن يدفع ما يزيد عن ثمنه ولو قليلا، ومهما كانت درجة احتياج العبد أو إعجابه بتلك السلعة فإنه لن يدفع ما يزيد عن ثمن السلعة، فكيف يشتري ماله ونفسه بثمنن باهظ كالجنة التي عرضها السماوات والأرض ؟! هذا عجيب

اجتهاد العلماء في معرفة الأسباب التي تجلب حب الله ﷻ:

يسأل البعض كيف لنا أن نُحقق حب الله ؟

و كيف نَصْدُق في تلك المحبة ولا تكون مجرد إدعاء؟؟

سبق لنا أن بيَّنا أن الناس ينقسمون إلى قسمين..

إذا كنت ممن كان يدَّعي المحبة ثم أردت أن تخرج من هذا الإدعاء وتنضم إلى:

القسم الأول:المحب لله بصدق..

فهناك أسباب اجتهد العلماء في التوصل إليها حتى يُحقق العبد حب الله ﷻ ولما لا وتلك أعظم الغايات وأشرف المقاصد ...(حب الله)

وعندما يصدق العبد في محبة ربه فإن الله سيحبه (ليس الشأن أن تُحِبْ ولكن الشأن أن تُحَبْ)

متى يُحب اللهُ عبده ؟

بصدق المحبة وليس بالادعاء...

الأسباب التي تجلب محبة الله ﷻ:

١ . قراءة القرآن بتدبر وفهم المعاني وما أُريد به..

لأن القرآن كلام الله وعندما يقرأ العبد كلام من يحب فإنه يزداد حبًا،

أين القرآن في حياة المسلمين؟

للأسف مهجور عند كثير منهم، حتى من يقرأ القرآن بالفعل هو له هاجر لأنه يقرأ والقلب غافل – إلا من رحم ربي–، أول الأسباب الجالبة لحب الله هو قراءة القرآن بتدبر وفهم للمعاني وما المقصود بالآيات ، ومعرفة نداءات الله ﷻ لعباده...

بماذا يأمرهم وعن ماذا ينهاهم ؟

ما هي العبرة من القصص في القرآني ؟

وهذا من التدبر الذي هو من أعظم الأسباب للحب....

٢ . التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض ..

في الحديث القدسي:عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا،وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا،وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ،وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

الشاهد:أن العبد هو الذي تقرب إلى ربه في بداية الأمر،بماذا ؟

عندما يأمره ربه بأمر فإنه يمتثل ويُطيع ولا يُهمل الفرائض على حساب النوافل؛ لأن هذا يُعد مدخل شيطان (كمن يقيم الليل ويؤدي عبادة القيام على أكمل وجه ثم تأتي صلاة الفجر فلا يُؤديها كما ينبغي وصلاة الفجر تشهدها الملائكة، وكمن تحفظ القرآن في حين أنها لا ترتدي الزي الشرعي وتعصي الله ويهيأ لها الشيطان أنها ما دامت تحفظ القرآن فهي على خير)

الحق يقول في الحديث القدسي "ما تقرب إلي عبدي"

لن يتقرب العبد مطلقًا إلى الله بشيء أفضل مما افترضه عليه،الأول الإتيان بالفريضة ثم تتبعها بالنافلة،أما الإتيان بالنوافل والمستحبات والإهمال في الفرائض فإن هذا يُعد مدخل من مداخل الشيطان حتى يُبْعد العبد عن الحق وعن حُب الله والاتباع.

أدوا الفريضة على أكمل وجه ثم يأتي دور النافلة والإكثار منها وهذايقود إلى محبة الله ﷻ، وكلما أُجْهِد البدن والنفس في طاعة الله وجُعلت في الخدمة على الوجه الأكمل(لن أقول الذي يليق بجلال الله لأنه لن يصل أحد إلى عبادة الله سبحانه كما ينبغي له أن يُعبد ولكن على القدر البشري) كان الحب أعظم وأكبر ..

٣. دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل

ونصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر

حال الإنسان في الدنيا أنه عندما يُحب شيئا فإنه يتكلم عنه كثيرًا (فرجل الأعمال كل حديثه فيما يخص ماله،مشاريعه،ما حقق من أرباح ، الضرائب وهكذا)هذا أحب ماله فكان شُغله الشاغل(امرأة تحب أولادها باستمرار تتكلم عنهم فعلوا وفعلوا) وهكذا في كل محبوب.

وكذا الحال لو أحب العبد ربه دائمًا يتكلم عن(تلاوة القرآن،حضور مجالس علم، الذهاب لأداء العمرة،كيفية الترتيب للحج هذا العام،قراءة كتب في العلوم الشرعية،الذكر،الاستغفار،اللسان مُسْتمتع بذكر من يُحب، دوام الذكر يجعل محبة العبد لله ولو كانت ضعيفة إلا أنه يعمل على تقوية تلك المحبة).

ومحبة العبد لله لابد أن تكون كاملة وقوية حتى يُدخله الجنة،وما هي إلا خطوات يخطوها العبد وهو يحمل فيها حبه لربه فيحبه ربه وعندما يُحبه يُدخله الجنة.

لماذا يتوقف اللسان عن ذِكر الله عَزَّوَجَلَّ ؟

يذهب البعض لحضور دروس علم فينتظر وقتا طويلا حتى يبدأ الدرس، هذا الوقت يضيع في لا شيء أو في كلام لا جدوى له ولا نفع فيه، فلماذا تضيع هذه الأوقات والألسنة غافلة عن الذكر؟؟ وتتبعها القلوب في هذه الغفلة .

لا ينبغي أبدًا أن يُعطل اللسان عن الذكر

سبحان الله

الله أكبر

الحمد لله

لا إله إلا الله

الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ

لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة

قال هذا نبينا ﷺ الإكثار من الحوقلة يؤدي إلى تفريج الهم والغم والكرب...

كثرة الذكر ودوامه على اللسان يجلب المحبة،ثم أن هناك ميزة توجد عند صاحب اللسان الذاكر ولا توجد عند غيره (حُسن الخاتمة) وفوائد الذكر أكثر من مائة فائدة ذكرها ابن القيم.

حسن الخاتمة:

ذكر الله عَزَّوَجَلَّ لابد أن يكون ديدن العبد وطبعه الذي لا ينفك عنه؛ لأن الموت يأتي بغتة، فقد يكون العبد جالسا أو نائما أو في أي ساعة من ليلٍ أو نهار ويأتيه الموت، فلو عوَّد العبد نفسه ولسانه على كثرة ذكر الله بحيث لا يفتُر أبدًا عن الذكر، فإنه سيقبض على حُسن خاتمة وتلك هي الميزة ، الذاكر قريب جدًا من حسن الخاتمة بكثرة الذكر، هذا الكلام قد يستهين به البعض ويقول الذكر

يقوم به حتى غير الملتزمين، هذا غير صحيح لأنني أعلم أن البعض ممن هم على درجة عالية من الالتزام ولا يستطيعون لزوم الذكر معظم الوقت، الأخت أو الأخ يقول أذكار الصباح والمساء - وهذا لو حافظ عليها ☜ - ويقرأ ورد القرآن ثم يظل لسانه معطل طوال النهار عن الذكر، نحن نُحاول أن نعلو ونريد أن ننال محبة الله عَزَّوَجَلَّ وإذا أردنا المحبة أكثرنا من ذكر المحبوب في كل وقت وحين .

الذاكر لله يذكره الله وكفى بذلك شرف:

قال تعالى :﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ(١٩١)﴾ [آل عمران]

الذاكر لله يذكره الله وكفى بها نعمة وشرفا ومنقبة..

ألم يقُل ربنا:﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢)﴾[البقرة]

تنص الآية على أن الذاكر يذكره الله،ولكم أن تتخيلوا أنكم وأنتم تسبحون يذكركم الله سبحانه وهو الرب العلي العظيم وأنتم العباد الضعفاء الأذلاء.

الذِكر شيء يسير جدًا يغفل عنه العباد، ويجتهد الشيطان على العبد اجتهاد شديد لمنع اللسان من لزومه، فيأتي الموت والعبد مُنصرف عن الذكر و مُنشغل(بغيبة،نميمة،سب، فحش... وغير ذلك)

إلى جانب ذلك نجد أن الذكر يُغْلِق الباب على المعاصي، وهو أيضًا إشغال للنفس بطاعة بدلًا من أن تأخذه نفسه إلى ما يُغضب الله،هذه قضية يسيرة لا تحتاج إلى معاناة بل هو سبب جالب لحب الله..

٤. إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى:

اختبار آخر، هذه الأشياء تجلب الحب ولكنها في حقيقة الأمر عبارة عن اختبارات ... فالله سبحانه وتعالى يحب شيئا مُعينا وفي نفس الوقت النفس تحب شيئا آخر، فهنا يكون الاختبار، فعلى سبيل المثال: يحب سبحانه صلاة الفجر والجو بارد وأنا مُتعبة ولم أنم إلا منذ وقت قصير لكن الآذان يقول:

حي على الصلاة.. حي على الفلاح

والصلاة والفلاح في تنفيذ الأمر الآن وتلبية نداء رب العالمين للوقوف بين يديه سبحانه،وصلاة الفجر مشهودة من الملائكة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولَ اللهِّ:(يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاةِ الْفَجْرِ وَصَلاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟،فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ، وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ) صحيح البخاري

صلاة الفجر وصلاة العصر تتعاقب فيهما الملائكة وتأتي إلى العبد..

☜ فلننتبه: لأن المسألة عظيمة جدًا ولنكن حريصين لأن الله ﷻ ما أمر الملائكة بالتعاقب في تلك الأوقات إلا لعِظم وقدر هذه الأوقات عند الله سبحانه، هذا من ناحية، أما الجانب الآخر والذي يخص النفس فإنها مُتعبة وتريد النوم والفيصل بين هذه وتلك هو المحبة فلو كان العبد مُحبا لله على الحقيقة لقام لصلاة الفجر، فترك صلاة الفجر نقص محبة .

نقص المحبة نتيجة قلة العمل:

وكذلك ترك قيام الليل نقص محبة..

قيام الليل شِعار المؤمنين وحال المتقين والصلة برب العالمين حيثُ الوقوف بين يدي الله في جوف الليل كي يناجيه عبده بالحب والذُل والانكسار ويلقي بكل ما يحمل من ذنوب وآثام بين يديه، ويسأله أن يعفو عنه ويغفر له، فإذا لم يفعل فالمحبة ناقصة...

وإذا لم يقم للفجر كانت محبته أكثر نقصًا بل كان خوفه كذلك ناقصًا، وإذا كان العبد على هذا الوضع فلا يُسئل عن حاله، ولا يتعجب حين يسمع الدروس ويحضر المجالس ولا يجد ثمرة ، فالثمرة تأتي نتيجة العمل- أي تنفيذ ما قمنا بسماعه-، نحن نسمع كثيرًا ولكن العمل قليل ولا يأتي الأثر إلا بالعمل .

وكذا يكون الحال في أي شيء يكون فيه غلبة الهوى،ربنا يأمر بشيء والهوى يميل إلى شيء آخر،المُحِب الصادق يُقَدِم أمر الله على هواه عند غلبات الهوى.

ولننتبه: لأن الإدعاء سهل والكلام كثير ولكن الصادق في ادعائه هو الذي يثبت عند الاختبار. فلو عُرضت عليه مسألة تخالف هواه، هل سيترك الهوى ويُجيب داعي الله أم العكس؟ هذا هو الميزان الذي يُوزن به صدق المحبة

قال تعالى:﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠)﴾ [النازعات]

الآية توضح أن جزاء جهاد الهوى هو الجنة التي عرضها السماء والأرض فلا مرض ولا تعب ولا نصب ولا هموم ولا مشاكل، إذًا الخوف من الله سبحانه والخشية منه ﷻ ونهي النفس عن الهوى كل ذلك يؤدي إلى الوصول إلى الجنة، فمثلا إن كان هواك أن تُشاهد فيلما بما فيه من مشاهد لا تُرضي الله ونظر إلى الرجال وموسيقي وسفه وكذب وحدِّث ولا حرج في كم الذنوب والمعاصي التي تُكتب عليك، وكان أمر الله لك ألا تفعل، ماذا ستقدم؟ حتى وإن كنت تظن أنك لا تفعل شيئا خطأ وتقول: "أنا أشغل وقتي"، فهل تشغل وقتك بالحرام!!

خيرٌ لك أن تشغل وقتك بالحلال،بدلا من ضرب القلب بالفحش والفساد، فرؤية المعاصي وأهلها تدفع العبد إلى أن يكون مثلهم ويتعلق القلب والعقل بما يُشاهد.

مثال وتجربة: الجلوس أمام المسلسل ثم اتبعنا ذلك بالإتيان بالمصحف و القراءة فيه،ابتداءً من الصعب أن تُشاهد الفيلم ثم تذهب لإحضار المصحف فإذا ما تحدى العبد نفسه وأحضر المصحف وجلس ليقرأ فيه لن يفهم ما يقرأ – بسهولة –، وإذا أحضر كتابا من كُتب التفسير وفهم فهل سيعمل بما فَهِم ؟ لن يحدث، فهذه من الأمور التي تُفسد القلب وتجعل حال الإنسان إيمانيًا سيء ثم يأتي صاحب هذا القلب ويتعجب ويقول،لماذا لا يزداد قلبي إيمانا؟

٥. مُطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها ، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة :

من المستحيل أن يعرف إنسان أسماء الله وصفاته ويعرف من هو الله ولا يُحبه ، فعدم المحبة ينتج عن قلة المعرفة بالله – وربما انعدام المعرفة بالله في حالة عدم المحبة بالكلية وهذا لا يكون من مسلم أبدا–، وما من أحد عرف الله بأسمائه وصفاته ثم لم يُقبل عليه بقلبه ونفسه، وبالتالي فإن الخلل يأتي من عدم المعرفة وعدم الفهم للأسماء والصفات على وجه الخصوص.

حكيم بن حزام(صحابي جليل) كان يقول وهو يطوف بالكعبة:

"لا إله إلا الله نِعْم الرب ونِعم الإله أحبه وأخشاه" تلك كانت دندنة الصحابة؛ فلماذا قال نعم الرب ونعم الإله أُحبه وأخشاه ؟

لأنه عَلِمَ أنه لا يوجد في الكون شيء له صفات كصفات الرب، فلا رب سواه ولا إله غيره .

٦ .مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الظاهرة والباطنة فإنها داعية إلى محبته:

من أسباب محبة العبد لربه أن يوجه تركيزه إلى الفضل والنعم وليس الابتلاءات،ولكن للأسف نحن ننظر للإبتلاء والمصيبة التي نزلت فقط.

مثال:غلاء الأسعار الذي نُلاحظه الآن ويشتكي منه الجميع السؤال الذي يَتَوجَب على العباد الإجابة عنه؟

س.هل أنت نائم في بيتك؟ نعم .

س.هل تأكل؟ نعم.

س.هل تقضي حاجتك ولا تشتكي من مرض؟ نعم.

س.هل تحتاج إلى أحد ليحملك في ذهابك وإيابك وقضاء حاجتك؟

لا والحمد لله أنا أخدم نفسي وأقضي حاجتي..

س.وأنت نائم هل تجد من يطرق عليك الباب بشدة ثم تجده يُشهر السلاح في وجهك ؟

لا ، فربما فأنا أنام وأترك الباب مفتوحا، كل هذه نِعم وغيرها كثير لا نستطيع حصرها، إذًا لماذا تنكرون وتجحدون كل هذه النعم؟

نعود للكلام عن غلاء الأسعار أو أي مصيبة أخرى أليس عندكم من النِعم والخير والفضل ما يكفيكم كي تحمدون الله!! واعلموا كذلك أن المصائب نزلت نتيجة للذنوب... فلنستغفر منها، فما سُلط علينا من ابتلاءات أو غلاء الأسعار أو ظُلم إلا بالذنوب... فلنستغفر – هذا هو العلاج –، عند الابتلاء انظروا إلى النِعم لا إلى المصيبة.

أنت تنام في بيتك وغيرك ينام في خيام الإيواء، أنت تقوم وتمشي على قدميك وتذهب لقضاء حاجتك دون أن يشعر بك أحد، أما غيرك إذا أراد هذا وهو مريض فإنه يحتاج إلى من يحمله ويدخله الخلاء ثم يعود به إلى مكانه مرة أخرى، وغير ذلك الكثير والكثير لمن يعقل....

فبالنظر المستمر إلى الابتلاء وغض الطرف عن النعم وعدم رؤيتها تسخط القلوب على الله وعلى أقداره لضمور الرضا في القلب شيئًا فشيئًا...

كفى بالصحة نعمة وكفى بالنظر نعمة وكفى بالإسلام أعظم نعمة ...فكل هذه نعم ظاهرة وباطنة فلماذا نتسخط ؟

التعود على الشكوى وإظهار النقمة وجحود النعم هذا هو الذي يتصف به كثير من العباد الآن ولابد من التغيير، فمع الأسف هذا نظام توارثته الأجيال

تظل الأم تشتكي، فيكون الأولاد على نفس الحال وكذلك الأب ، قلما نجد أحد يشكر الله ومن يقولها تكون بلسانه لا بحال قلبه، فلا يستقر في قلبه شكرا، هذه المعاني لا يشعر بها أحد أو قليل من يشعر بها..

عدم رؤية النعم تعطيل للعبد عن الخدمة:

من هنا نعلم أن عدم النظر إلى نِعم الله ووضع الابتلاءات فقط أمام عين صاحب البلاء كفيل أن يأخذ المحبة ويهوي بها إلى أسفل سافلين،والعكس بالعكس، فكلما نظر العبد إلى نعم الله وإحسانه وشعر بها عليه كلما ازدادت المحبة؛ لأن النفس مفطورة على محبة من أحسن إليها، وعندما يعلم العبد بمدى إحسان الله إليه فإنه يحبه ولا بد .

إذا غاب الحب غابت الخدمة ...

فالعبد خادم وإذا لم ير إحسان ربه لن يكون محبًا فبالتالي لن يقوم بحق الخدمة، فيعطل الشيطان العبد بذلك فيمنعه من الإقبال على ربه وذلك يكون بمنع رؤيته للنعم وتركيزه فقط على الابتلاء كما قلت هذا باب عظيم يدخل منه الشيطان وتَدَخُل الشيطان فيه يستوجب سخط الله؛ لأنه هو الذي تفضل على العبد بكل هذه النعم.

أنت حُر طليق صحيح البدن، غيرك يمكن أن يكون داخل السجن وغيره مريض ملازم للفراش ومُعلقة له المحاليل،وغيره في معهد السرطان يأخذ

الكيماوي،وأخر في مستشفى الأمراض العقلية،وآخر في خيام للإيواء ينتظر من يعطيه بعض الطعام وقد يكون كل هؤلاء قبل ذلك كانوا مُنعَّمِين ثم سلبوا هذا العطاء وتلك النعم.

الله ﷻ عندما ينظر في حال عبده ومقدار النعم التي أنعم بها عليه ومع كل هذا يجده ساخطا على أقداره فإن هذا يستوجب سخطه على عبده، فيزداد العبد همًا على همه وغمًا على غمه ويضيق عليه العيش أكثر.

قال رب العزة:﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧)﴾ [إبراهيم]

قال تعالى:﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾[الضحى]

هذه الآية مُعطلة عند المسلمين، أين التُحدث بالنعم ؟

فالحب يأتي بمشاهدة النعم والإحسان، ومهما رزقت من ابتلاءات عليك أن تنظر إلى كم النعم التي أنعم الله بها عليك، وعندما يوسوس الشيطان ويتسلط علي العبد ليحزنه برؤية بلائه فليعدد على نفسه البلاء ويعدد كذلك النعم ويوازن بين هذه وتلك... ففي هذه اللحظة يفيق العبد وينتبه فيرى عِظم النعم وضئالة البلاء ويعلم أن هذا مدخل شيطان ليكدر على العبد حياته ويجعله يعيش في هم وغم وعدم رضا ويضعُف الحب.

٧.انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى:

أعجب جزئية من العشرة أجزاء هذه الجزئية ،هذه الجزئية صعبة ولا تتسنى لكل عبد.

٨.الخلو به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه ثم ختم ذلك بالاستغفاروالتوبة:

الخلو به وقت النزول الإلاهي يُقصد به : الثلث الأخير من الليل ونزول ربنا ﷻنزول يليق بجلاله وكماله ويقول:

هل من سائل فأعطيه؟

هل من داع فاستجيب له؟

هل من مستغفر فاغفر له؟

والعباد نيام وفي غفلة، الله ﷻوتقدست أسماؤه ينزل نزول يليق بجلاله وكماله – ولا نُكيف ولا نُمثِّل ولكن نُثبت النزول– ويسأل العباد ويدعوهم هل وهل وهل ؟ والعباد إما نائمون وإما غافلون وساهون ...

الخلو في هذا الوقت يزيد المحبة ، فما الدليل؟

الحديث القدسي:عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي

يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

قيام الليل نافلة وليس فرض والذي يقوم هو المُحب

٩. مُجالسة المُحبين الصادقين والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقي أطايب الثمر ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيدًا لحالك ومنفعة لغيرك:

هذه الجزئية أيضًا مهمة لأن«الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»جامع الترمذي كذا قال نبينا ﷺ،وطبيعة البشر تتأثر.

وعلى سبيل المثال:من يُجالس شخص عصبي بعد قليل يُصبح مثله والعكس، ومن يُجالس شخص سليط اللسان يفعل كفعله والعكس مع حسن اللسان، الطبع سرَّاق ، ومن يُرِدْ النجاة ودخول الجنة وأن لا يتأثر دينه فليحاول أن ينتقي الصُحبة المحبة الصادقة وليست المُدَّعية فيُلقي بنفسه بينها فتُعينه على السير في الطريق والثبات على هذا السير في حب الله ولو كان صديقًا واحدًا فيُذكِّر صاحبه بالعمل الصالح وبالكلمة الطيبة ويمنعه من السقوط ولو بكلمة .

قيل:ولا تتكلم إلا بما ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيد لحالك ومنفعة لغيرك...

آفات اللسان خطيرة وكثيرة جدًا،وأسلم للعبد أن يضع لسانه داخل فمه ولا يتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة، وإذا جالس الناس فليسأل نفسه قبل أن يجلس ما هو الهدف من هذه الجلسة وماذا سيُقال فيها؟ وليس مقصِد كلامي هو تحريم الكلام ولكن المقصِد هو التفكير فيما سيُقال قبل أن يُقال وهل في هذا الكلام مصلحة أم لا ؟

هل الكلام يتضمن غيبة وأكل لحوم الناس أم أنه مجلس لا يقال فيه إلا الخير، إذا لم يأت الكلام بمصلحة فينبغي السكوت عملًا بحديث رسول الله ﷺ:(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ) صحيح البخاري

قال تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣)﴾[المؤمنون]

كثرة الكلام آفة مُبتلى بها كثير من النساء وللأسف الرجال أيضًا، وهي في حقيقة الأمر مفسدة للقلوب.

١٠ . مُباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله ﷻ:

الكلام في هذه المنزلة مُعلق بطرفين:

١ . طرف محبة العبد لربه.

٢. طرف محبة الرب لعبده.

فكل سبب يحول بين القلب وبين الوصول لله ﷻينبغي على العبد أن يُبْعِده

وقيل: أن محبة العبد لربه فوق كل محبة ولا نزاع في ذلك ولو كان العبد مُحب لله حقيقةً لا ادعاءً فستكون محبته فوق كل محبة ولا نسبة لسائر المحاب إليها وهي حقيقة لا إله إلا الله.

فالكثير يقول الكلمة دون أن يعرف معناها ومن غير أن يُحقق مقتضاها وحقيقتها.

وقيل: وكذلك عندهم محبة الرب لأوليائه وأنبيائه ورسله: صفة زائدة على رحمته وإحسانه وعطائه، فإن ذلك أثر المحبة وموجبها؛ فإنه لما أحبهم كان نصيبهم من رحمته وإحسانه وبره أتم نصيب.

الله ﷻعندما يُحب أوليائه وأصفيائه والمستقيمين على الطريق والباذلين في سبيل الله الجهد والوقت والمال والغالي والثمين ابتغاء مرضاته بصدق لا رياء ولا سمعة، ما هي إلا المحبة الخالصة لله كل هؤلاء لهم أجر وجزاء من نوع أخر ومعاملة خاصة من الله ﷻ.

أول درجة يعرف بها العبد إذا كان مُحب لله أم غير ذلك:

١ .انقطاع الوساوس والتذاذ العبد بالخدمة والتسلي عن المصائب:

أول درجة في المحبة أن تنقطع الوساوس عن العبد وأن يتلذذ بالخدمة،وهذه الخدمة تُسليه عن المصائب وهذا يعني عدم تأثُر العبد كثيرًا بالابتلاء حتى أن مَنْ يراه لا يظن أنه مُبتلى،هذا هو معنى الحب: الوصول إلى درجة الرضا، درجة الرضا هذه تجعل من يُحيطون بهذا العبد المُحب المبتلى يعتقدون أنه:

إما أنه ليس مبتلى أو أن البلاء أثر على عقله فحدث له خلل

(ولكن هذه محبة عالية لو كانوا يفقهون)

انقطاع الوساوس:

ابتداءً هي أول درجة في المحبة فلماذا ؟

الوساوس لا تجتمع أبدًا مع الحب ،مثل الذكر والغفلة هل يجتمعان؟!

الغافل مُعرض لا يُصلي ولا يصوم فهل يُقال عليه ذاكر؟!

بالتأكيد لا ... وكذلك القلب إذا دخلت عليه الوساوس طردت المحبة لحدٍ كبير، وإذا انقطعت الوساوس فليحمد العبد ربه ويعرف أنه قد وضع قدمه على أول طريق المحبة.

١. فإذا وسوس الشيطان استعاذ بالله منه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ(٢٠١)﴾[الأعراف]

٢. وإذا كان الوسواس من النفس فليتذكر قول الله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٣)﴾[يوسف]

٣. وإذا كان الوسواس من البشر ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧)﴾[الزخرف]

وكلما وسوس إليه بشيء استعاذ بالله، وتذكر عداوة الشيطان والنفس والناس، ويقطع هذه الوساوس من القلب انقطاع كامل؛ لأنه محب لله ولا يريد أن يتواجد شيء في قلبه يحول بينه وبين الوصول إلى هذه الدرجة العظيمة من الحب.

إذا انقطعت الوساوس سيجد علامة ما هي؟

عدم وجود تعب في الخدمة (صلاة _صيام_ بر) لا يشعر بأي تعب إلا التعب البدني البسيط ولكنه لا يتسبب في تعطيله.

المحب يجد لذة المحبة ولو كان في حال الابتلاء:

تنزل المصيبة وينزل الابتلاء ولكن المحب الصادق ثابت ولم يتزحزح وهذا هو

نِعْمَ العبد

وقد أثنى الله سبحانه على أيوب عليه السلام فقال:﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)﴾[ص]

حين صبر وكان ابتلائه بجميع الأمراض في الظاهر والباطن لدرجة أن الناس قد تكلموا في شأنه وظنوا به السوء، وقالوا لابد أنه فعل ذنبا عظيما وما كان ذلك إلا لكثرة الابتلاءات التي أصيب بها فغفلوا عن أن أشد الناس ابتلاءً الأنبياء،كان عليه السلام صابرًا وعندما دعا قال:﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣)﴾[الأنبياء]

هذا هو الأدب في الطلب وفي الدعاء فلم يقُل نبي الله أيوب: لماذا كل هذا الابتلاء بل كان الأدب هو المُسيطر على الدعاء،وينبغي أن نتعلم من الأنبياء هذا الأدب .

لا ينبغي أن يكون العبد نشيطا وقت العطاء فقط، أما في حال الابتلاء نجده مكتئب ومتوقف عن العمل، فهل يعمل العبد في مقابل الأجرة؟

بئس العبد !!!!

بل لابد أن يكون في كل أحواله مُقبلا على ربه ومولاه.

يقول سهل بن عبد الله: "حرامٌ على قلب أن يشُم رائحة اليقين وفيه سكون إلى غير الله وحرامٌ على قلبٍ أن يدخله النور وفيه شيء مما يكره الله ".

اليقين العالي لكل ما جاء في كتاب الله سبحانه وسنة النبي ﷺ لن يأتي مع قلب مشغول بغير الله، وهذا هو حال المسلمين اليوم ، فاليقين ضعيف جدًا وحين يضعُف اليقين يقل التصديق وإذا قل التصديق تجرأ العبد على الذنوب والمعاصي وهذا ما نراه اليوم.

اليقين يأتي في القلب مع الإنشغال بالله وليس الإنشغال عن الله، نور الإيمان ونور البصيرة ونور اليقين ونور الحب ونور الرضا هذه الأنوار هل ستدخل القلب وبداخله شيء يُغضِب الله ؟

بالطبع لا يجتمعان ...

قال مسلم: "تركتموه وأقبل بعضكم على بعضٍ ولو أقبلتم عليه لرأيتم العجائب" تركنا ربنا وحبه ودينه والإنشغال به ﷻ وأقبل بعضنا على بعض، أصبحنا عبيد عند بعضنا، المرأة صارت أمة لأولادها ولزوجها وللمجتمع، طوال الوقت نفكر الأكل والشراب والملابس وصورتنا أمام الناس ويالينا أعطينا هذا الاهتمام لنظر الله ﷻ لأرحنا واسترحنا.

عبدنا بعضنا وعبدنا الدنيا؛ لأننا تركنا عبادة الله، والله لو أهملنا نظر الناس ولم نلتفت للبشر ورضينا بما رضي الله لنا، وانشغلنا بالبحث عن الأسباب التي تجلب رضا الله ومحبته وتدخلنا الجنة لكفانا الله هم الدنيا.

العبودية تشريف قبل أن تكون تكليف:

ذكر الله ﷻ رسوله بالعبودية في أشرف المقامات، فيناديه بالرسالة وبالنبوة وبأشرف الصفات:﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١)﴾[المزمل]،﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١)﴾ [المدثر]،﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾[المائدة]،﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾وما ناداه باسمه قط ولكنه في أشرف المقامات ناداه بالعبد .

١ .الله سبحانه في مقام التحدي يقول :﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣)﴾ [البقرة]

سبحانه يتحدى كفار قريش أن يأتوا بكلام ككلامه في القرآن وربما يقول البعض المفترض أن يناديه في هذا المقام بالنبوة لأنه مقام تحدي ولكنه ناداه بمقام العبودية لأنه أشرف، فأشرف المقامات على الإطلاق أن تكون عبدا لله أو أمة لله – ولكن على الحقيقة –.

٢. وفي مقام الإسراء والمعراج قال ﷻ: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)﴾[الإسراء]

أسرى بعبده ولم يقل بنبيه ولا برسوله لبيان أن مقام العبودية مقام عال جدًا وهذا المقام لم يشهده أحد غيره – الصعود إلى السماء ورؤية الجنة والنار–.

٣. وقال في مقام الدعوة :﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩)﴾[الجن]

إذا كُلفنا بفعل الأمر وترك النهي فهذا التكليف هو عين التشريف، وهذا ما يجب أن نستشعره عند القيام للصلاة مثلا، فمن انا ومن انت حتى يأذن لنا الجبال ملك الملوك المتعال أن نقف بين يديه!!

ولكن لننال هذا الشرف نحتاج إلى بذل وجهد وعطاء لا يتسنى إلا لمن وفقه الله، ولهذا قلت عند بداية الدرس "عبودية المحبة" ولم أقل "المحبة" وفيها كيفية تعبد القلب بحب الله بالمعاني التي ذكرنها وغيرها كثير ...ولكن نكتفي بما ذُكر .وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.